العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط الزياني
بين التعايش والتصادم

د. هوارية بكاي
قسم التاريخ جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

ملخص

نعالج في هذا الموضوع الموسوم بـ: " العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة في المغرب الأوسط الزياني – تعايش أم تصادم – " طبيعة العلاقات بين الفقهاء ورجال التصوف في المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية ،وتتبعها عبر مختلف مراحل تطور هذه الدولة، مع تسليط الضوء على أشهر الفقهاء ،وأشهر المتصوفة على عهدها ،وعلى أهم ما ألف في المجالين.

Résumé :

Dans ce sujet intitulé « La relation entre les Fiquihs et les Soufistes au Maghreb central Zianide – coexistence ou conflit – la nature de la relation entre les Fiquihs et les hommes de soufisme chez les zianides . nous essayerons de suivre cette relation durant les différents étapes du développement de cet état en mettant en valeur le savant ,célèbres ainsi que les Soufistes connus à l'époque ,tout en citant les principales publications traitant ce sujet.

مقدمة

أدى اعتناق الموحدين للمذهب الظاهري إلى تشجيع العلماء على البحث والاجتهاد ،ونبذ التقليد والعمل بكتب الفروع الذي كان سائدا على عهد المرابطين ،والذي كان سببا في جمود الحركة الفكرية على عهدهم . وبذلك وجد علماء المغرب الاسلامي في دعوة الموحدين إلى الاجتهاد بالعودة إلى الأصول ،وإعمال التفكير المنطقي والاستدلال العقلي فرصتهم في البحث والانتهال من مختلف العلوم ،والتأليف فيها ،خاصة بعد انتشار مؤلفات الأشاعرة وأفكارهم ،ككتب الامام الجويني ،ومصنفات الامام أبي حامد الغزالي ،وكذا انتشار بعض أفكار المعتزلة والشيعة . لكن هذا الانفتاح الفكري لم يمنع من بقاء بعض الفقهاء على المذهب المالكي ،والذين رفضوا ما جاء به الموحدون من أفكار وقاوموه رغم ما لاقوه من اضطهاد .

ولما خلف بنو زيان الموحدين على حكم بلاد المغرب الأوسط تبنوا في بداية عدهم الفكر الموحدي ،ثم أصبح المذهب المالكي المذهب الرسمي لدولتهم خاصة وأن أغلب سكان المغرب الأوسط كانوا على

هذا المذهب . لكن العودة للمذهب المالكي لم تغلق باب الاجتهاد أمام العلماء الذين واصلوا نشاطهم العلمي دراسة وتدريسا وتأليفا[1].

أدى هذا النشاط الفكري بالمغرب الأوسط الزياني إلى بروز تيارات فكرية أبرزها تيار الاجتهاد وتيار التصوف ،فالمقصود بهذين التيارين؟ ومن أبرز علمائهما؟ وهل كانت العلاقة بينهما علاقة تعايش أم تصادم؟

أولا: تيار الاجتهاد (الفقهاء).

لقد استفاد فقهاء الدولة الزيانية كثيرا من المحنة التي طالت فقهاء المالكية المرابطين على العهد الموحدي ،فتفتحوا على مختلف العلوم ،ورفضوا الخضوع لمنطق الاكتفاء بكتب الفروع ،فبرز منهم علماء مجتهدين في الفقه فى المالكي تميزوا بالمرونة في طرح قضاياهم محاولين التوفيق بين النظرة الشرعية وبين تطورات الواقع ،وهو الأمر الي جعلهم يتقبلون مضامين العقيدة الأشعرية[2].

إذ لم يكتفي فقهاء الدولة الزيانية بدراسة المسائل الفقهية بل قاموا بتوضيحها وتنقيحها بالعودة للأصول وأعلى الأسانيد دون تعصب أو تزمت لمذهب من المذاهب[3] كالفقيهين أبي زيد عبد الرحمن (ت 743 هـ / 1343 م) وأبي موسى عيسى (ت 750 هـ / 1349 م)[4] ،ومنهم من قارن بين فروع المذاهب الأربعة وناقش سابقيه في القواعد الفقهية وفروق أحكامها ،وبيان منشأ خلاف في أصولها كالإمام أبي عبد الله محمد المقري التلمساني (ت 759 هـ / 1357 م)[5] الذي اعترض بعض أراء شهاب الدين القرافي ،وصحح الكثير من أقوال الفقهاء في حدود المذهب المالكي[6] قال عنه الشريف التلمساني:" قد جاز بذهنه الثاقب الراجح في تحقيق الدلائل مهما صعبا ،وجاز برأيه الصائب الناجح في تحصيل المسائل موردا عذبا ،حتى صار يفصل في مضيق المناظرات بين أربابها ويجلي دجى المشكلات ويلي كشف حجابها."[7] كما كان – المقري – ينتقد الفقهاء الذين يعتمدون على الفروع ،والنقل الحرفي لآراء سابقيهم ويتصدى لمواقفهم التي كان يراها تقليدية متزمتة ،وكان يرى أنه لا يجوز التعصب إلى المذهب بالانتصاب للانتصار ،وكان يرى أن التقليد يغلب عليه حب الخيال والوهم ،وتقل فيه طاعة العقل والفهم[8].

ومن الفقهاء المغرب الأوسط الزياني المجتهدين الذين ذاع صيتهم نذكر الفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771 هـ / 1369 م)[9] الذي وصفه ابن مريم بآخر الأئمة المجتهدين الراسخين الذين حيت بهم السنة وماتت بهم البدعة[10]. والإمام القدوة الحافظ المجتهد الفقيه قاسم ابن سعيد ابن محمد العقباني (ت 837 هـ / 1408 م) الذي كانت له اجتهادات خارج المذهب المالكي[11]. والفقيه محمد ابن محمد ابن أحمد ابن محمد ابن مرزوق الشهير بالحفيد (ت 842 هـ / 1438 م) ،يعد من أكبر

الفقهاء المجتهدين ببلاد المغرب بعيدا عن التقليد ،كان ملما بالتصوف ،وسلك مسلكه ،ولبس خرقة التصوف عن أبيه وجده[12].

ثانيا: تيار التصوف[13].

يعرف عبد الرحمن بن خلدون التصوف بأنه العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ،والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ،والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة مال وجاه ،كما يرى أن علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الاسلامية[14].

وقد انتشر علم التصوف ببلاد المغرب الاسلامي مع انتشار دعوة المهدي بن تومرت الذي تلقى علومه بالمشرق الاسلامي وتأثر بأقطاب هذا التيار من أمثال أبو حامد الغزالي. ومع قيام دولة الموحدين ازداد علم التصوف تطورا ،حتى برز فيه رجالا يعدون أقطاب علم التصوف ،من أمثال سيدي أبي مدين شعيب[15] دفين تلمسان ،و سيدي عبد السلام بن مشيش دفين شفشاون بالمغرب الأقصى ،وأبي الحسن الشاذلي تلميذ سيدي بن مشيش[16].

و خلال العهد الزياني استمر تطور علم التصوف خاصة بعد أن أولاه سلاطين بني عبد الواد العناية والرعاية ،وذلك من أجل كسب ولاء الرعية و تبعيتها ،فظهرت مجموعة من العلماء و تبنت هذا العلم ،و خدمته سلوكا وتأليفا[17]. ومن أشهرهم أبو محمد المجاصي الشهير بالبكاء (ت 741 هـ / 1341 م) ،فقيه ورع متخشع كان شديد البكاء حتى كني بالبكاء ،وكان ذلك بمكة ،تولى الخطابة بمسجد القصر الجديد بتلمسان ،دفن بعين وانزونة في طريق العباد وهو مقصد الزوار[18]. والشيخ ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق (ت 681 هـ / 1282 م)[19] ،اشتغل بالقراءة والفقه والحديث ،ثم عكف على كتب التصوف ،وانقطع للعبادة[20] ،أخذ التصوف عن جماعة من أصحاب سيدي أبي مدين الغوث من أمثال محسن بن اللجام وأبي العباس أحمد المغربي ،كانت مهنته نسخ الكتب والمصاحف[21]. ومن أفراد أسرة المرازقة التي كانت تخدم ضريح سيدي أبي مدين بالعباد[22] برز في التصوف كذلك أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق والد ابن مرزوق الخطيب ،وولد أبو عبد الله محمد السالف الذكر ،فقيه متصوف ،ورع متبتل له مكانة وحظوة بين الفقهاء ورجال التصوف بالمغرب والمشرق[23].

ومن المتصوفة المتفلسفين الأديب الشاعر ان خميس التلمساني محمد بن عمر الحجري الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني (ت708هـ/ 1308م) ،والذي أتهم بالزندقة والكفر والضلالة – سنأتي على ذكر ذلك في العنصر الموالي- له مشاركات في العقليات و إشراف على الطب كما كان من أهل علم السيمياء[24].

ومن متصوفة القرن التاسع الهجري ،العاشر الميلادي نذكر عبد الرحمن الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف (ت871هـ/ 1467م) ،ولد ونشأ بناحية وادي يسر- جنوب شرقي الجزائر، منها ارتحل إلى بجاية سنة 802هـ حيث أخذ عن علمائها أمثال أبي العباس النقاوسي و أبي الحسن البليلتي و أبي الحسن علي بن عثمان المنجلاتي، و غيرهم، ثم ارتحل إلى تونس سنة 809هـ، فأخذ عن مشيختها أمثال الإمام أبي عبد الله الآبي و أبي القاسم البرزلي، و أبي مهدي عيسى الغبريني، ثم انتقل بعدها إلى مصر، فأخذ بها عن ولي الدين العراقي، وعبد الله الباسطي و غيرهما، ثم قصد الحجاز حاجا، و منها عاد إلى مصر سنة 819هـ، فلازم بها بن مرزوق الحفيد الذي أجازه، كما استمع بها إلى أبي عبد الله القلشاني و عبد الواحد الغرباني و أبي القاسم العبدوني الذين أجازوه و أثنوا عليه وأذنوا له بالتدريس و التأليف، و بعد عودته إلى المغرب الأوسط تولى القضاء، ثم استقال من منصبه و انكب على التدريس و التأليف، من تلامذته، محمد بن يوسف السنوسي، و أخوه لأمه أبو الحسن علي التالوتي، و الشيخ أحمد رزوق، و محمد بن عبد الكريم المغيلي و أحمد بن عبد الله الزواوي، و ابن مرزوق الكفيف و غيرهم.

ترك الثعالبي ما يزيد عن تسعين مؤلفا في التفسير و الفقه و الحديث و التاريخ، نذكر منه: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" ،"الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز"، نزهة الأخبار في الفقه"، "الدرر اللوامع في قراءة نافع"، العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة" ،شرح مختصر خليل ابن إسحاق، و شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي... و غيرها من المصنفات الهامة[25].

وكذلك محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ- 14902م) ،ولد سنة 832هـ/ 1428م بتلمسان، نشأ بها، برع في مختلف العلوم النقلية و العقلية، و كان مبرزا في علم التوحيد و العقول، من مصنفاته، "عقيدة التوحيد و شرحها و العقيدة الوسطى وشرحها"، "المقدمات المبينة للعقيدة الصغرى"، "شرح جواهر العلم للعضد"، "مختصر القراءات السبع"، "شرح صحيح البخاري"، "تفسير سورة ص و ما بعدها من السور"، "شرح قصيدة الحباك في الاسطرلاب"، "شرح مقدمة الجبر و المقابلة لابن الياسمين...و غيرها من التآليف، من تلامذته، أبو القاسم الزاوي و ابن أبي مدين، وابن الحجاج، و العبدري، و ابن العباس الصغير، ومحمد القلعي و غيرهم، توفي سنة 895هـ/ 1490م[26].

و من أشهر المؤلفات التي ألفها علماء الدولة الزيانية في علم التصوف و الأخلاق نذكر :

كتاب " الحقائق و الرقائق " للمقري الجد محمد بن أحمد الذي يعد أحد أعلام التصوف خلال القرن الثامن الهجري27. والذي قال عنه: " هذا الكتاب شفعت فيه الحقائق بالرقائق و مزجت فيه المعنى الفائق باللفظ الرائق ،فهو زينة التذكير وخلاصة المعرفة و صفوة العلم ونقاوة العمل ،فاحتفظ بما يوحيه إليك فهو الدليل ،وعلى الله قصد السبيل ..."[28].

كما للمؤلف كتبا أخرى في التصوف منها:

- رحلة المتبتل[29].
- إقامة المريد[30].
- لمحة العارض لتكملة ألفية ابن الفارض وهي عبارة عن منظومة شعرية تضم مائة وسبعة و سبعون بيت[31].

و لابن أبي حجلة التلمساني عدة مؤلفات في علم التصوف من أهمها:

- رفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة[32].
- النعمة الشاملة في العشرة الكاملة[33] .
- السعادة و دليل الموت على الشهادة.[34]
- البيوت المضية في الدار البدرية[35].

كما ألف ابن مرزوق الخطيب كتبا في علم التصوف منها:

- مقال في الصبر قال عنه في المسند: " ...وقد كنت جمعت ما قيل في الصبر نثرا و نظما ،جزءا على طريقة أهل التصوف و أهل الأدب ..."[36].
- قصائد في التوسل[37] .

و للسلطان الزياني أبي زيان محمد بن أبي حمو موسى الثاني كتاب في علم التصوف سماه: " الاشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة و النفس الأمارة "[38] .

و يعد عبد الرحمن الثعالبي من أشهر العلماء الذين ألفوا في علم التصوف ،و أكثرهم غزارة في هذا المجال ،و من أهم مؤلفاته:

- الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار و الدعوات[39] .
- قطب العارفين [40].
- العقد النفيس[41] .

- الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة و الحقيقة . اضافة الى كتب: " رياض الصالحين وتحفة المتقين " و " الرؤية المباركة " و الارشاد لما فيه من مصالح العباد " و " العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة "[42].

كما برز في هذا العلم العالم محمد بن يوسف السنوسي (المتوفى سنة 895 هـ) من خلال مجمعة من المؤلفات منها كتاب: " نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير " وهو الذي ألفه للرد على أبي الحسن الصغير المكناسي الذي اعترض على أهل التصوف ،وأرسل رسالة الى أهل تلمسان بذلك ،حيث أمر – السنوسي – بإحراق كتب هذا الأخير ،واتهمه بالافتراء فيما ادعاه و الجهل بطريقة أهل التصوف[43].

كما ألف أحمد زروق البرنسي نزيل تلمسان الذي يعد من أقطاب الصوفية بالمغرب الاسلامي خلال القرن التاسع الهجري والمتوفى سنة 889 هـ ،عدة مؤلفات أثرى بها علم التصوف منها: " أصول الطريقة " و"النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية" و" عمدة المريد الصديق من أسباب المقت في بيان الطريق " ،كما قام بشرح "الحكم العطائية" و"عيوب النفس للسلمي"[44].

و من العلماء الذين ألفوا في علم التصوف كذلك الشيخ محمد بن عبد الكريم المغلي الذي ساهم في هذا العلم بكتاب " تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين " و هو كتاب ألفه للرد على الذين ادعوا الولاية باسم العلم ،و الذين لقبهم بعلماء السوء ،و حذر الناس منهم ،و طالب الحكام بزجرهم و ردعهم لأنهم يضللون الناس[45] .

إذا كان علم التصوف قد تطور و ازدهر بالمغرب الأوسط خصوصا ،و المغرب الاسلامي عموما خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين – و ذلك ما تؤكده كثرة التآليف في هذا العلم – على أساس الانقطاع إلى الله تعالى، و الاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ووفق الكتاب و السنة ،فانه بدأ يبتعد عن أصوله ،و جوره بداية من منتصف القرن التاسع الهجري نتيجة ظهور طوائف استعملته لخدمة أغراض دنيوية ،بعدما الصقت به الخرافات والترهات ،والأساطير لاستمالة الناس والسيطرة على عقولهم. وازداد نشاط هؤلاء المتصوفة الذين أصبحوا يعرفون بالطرقيين خاصة بعد القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) إلى أن ظهر علماء أجلاء تصدوا لهم و حاربوهم بالحجة والبرهان ،والكتاب والسنة،ومن بينهم صاحب كتاب " منشور الهداية في حال من ادعى العلم و الولاية " عبد الكريم الفكون[46] .

ثالثا: العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة.

من خلال دراستنا لسيرة ومناقب رجال التصوف في المغرب الأوسط الزياني يتضح لنا جليا أن جلهم كانوا على قدر كبير من العلم ،وخاضوا في مختلف العلوم ،وخاصة منها الشرعية ،لذلك نجد

أغلب هؤلاء المتصوفة التزموا التصوف العملي الذي يولي العناية بالجانب التربوي والزهد في الدنيا دون الانقطاع عن الحياة الواقعية ،والالتزام التام بالكتاب والسنة ،لذلك ظلت العلاقة بين الفقيه والمتصوف علاقة تعايش ،بل إن الكثير من الفقهاء التزموا الاعتكاف،والتفرغ للعبادة ودراسة العلوم الشرعية،إنشاء مجالس الذكر الإمام أبي عبد الله محمد المقري التلمساني (ت 759 هـ / 1357 م)، و الفقيه محمد ابن محمد ابن أحمد ابن محمد ابن مرزوق الشهير بالحفيد (ت 842 هـ / 1438 م) ،والفقيه محمد المجاصي الشهير بالبكاء (ت 741 هـ / 1341 م) ،وعبد الرحمن الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف (ت871هـ/ 1467م) ،والفقيه محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ- 14902م) السالفي الذكر.

ولم يظهر التصادم والصراع الفكري بين الفقهاء والمتصوفة إلا بعد تيار التصوف الفلسفي الذي يتحدث عن وحدة الوجود والانقطاع عن الحياة العملية[47] ،ويرجح الباحث عبد العزيز فيلالي أن هذا الصراع ظهر على عهد الشاعر المتصوف الفلسفي محمد ابن خميس الذي تصدى لأفكاره بعض فقهاء تلمسان وعلى رأسهم الفقيه ابن هدية القرشي(ت735هـ/ 1335م)[48] ،وسبب الخلاف أن خصوم ان خميس قد اتهموه بالزندقة والكفر والضلالة ،وقد شرح ابن هدية رسالة ابن خميس وتعرض فيها للفلسفة ،ومنها قوله: " والفلسفة عند أهل السنة وكافة الأشعرية عبارة عن الزندقة البحتة والضلالة المحضة ،والكفر الناشئ عن مطلق الخلاف الواضح ... فوجب تكفير شيعهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفرابي وغيرهما من المهتدين بهديهم المقتدين برأيهم عليهم لعنة الله أجمعين."[49]،وكان ابن خميس قد اتهم الفقهاء بتضييع النص والشرائع حيث قال في ذلك: " ضيعتم –يقصد الفقهاء- السنن والشرائع وأظهرتم في بدعكم العجائب والبدائع ،واستصغرتم الكبائر وأبحتم الصغائر "[50] ،وكانت نتيجة هذا الصراع أن حكم بالإعدام على ابن خميس قبل أن يتمكن من الفرار ويموت مغربا عن تلمسان[51].

ومن مظاهر الصراع بين الفقهاء ورجال التصوف كذلك ذلك الخلاف الذي حدث بين ابن مرزوق الحفيد متزعم تيار السلفية وقاسم بن سعيد العقباني (ت 837 هـ / 1433 م)[52] متزعم تيار التصوف الذي أفتى في مسألة الفقراء الصوفية وصدق صنيعهم ،فعارضه ابن مرزوق الحفيد وألف في ذلك كتابا من سبعة كراريس سماه " النصح الخالص في مدعي رتبة الكامل للناقص"[53]. وإن كانت المصادر والمراجع – على الأقل التي بين أيدينا – لم تشر إلى مقاصد العبقاني بصنيع الفقراء والذين يقصد بهم المتصوفة الفقراء غلى الله ،فإنه يبدو من خلال عنوان متاب ابن مرزوق أنهم جماعة التزموا التصوف والاعتكاف تقربا إلى الله بقصد الوصول غلى درجة الكمال. وقد تعدى هذا الخلاف العالمين ابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني إلى علماء آخرين ،فريق منهم ساند ابن مرزوق الحفيد

،فقد أيد علماء فاس والأندلس ابن مرزوق الحفيد ،وساند محمد ابن يوسف السنوسي فاسم العقباني وألف في ذلك كتاب سماه " نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير "[54].

إن الحركة العلمية في المغرب الأوسط الزياني تميزت بالانفتاح على مختلف العلوم النقلية والعقلية ،وهذا ما ساعد العلماء على الانتهال من مختلف مشاربها فبرعوا فيها دراسة وتدريسا واجتهادا ،فبرزت تيارات فكرية مختلفة ،كل طائفة منها تدافع عن توجهاتها بالدليل والبرهان ،من الكتاب والسنة ومختلف الفروع ،ومن أشهر هذه الفرق الفقهاء ،والمتصوفة الذين كانت العلاقة بينهما في بادئ الأمر علاقة تعايش وقبل كل منهما بالآخر ،فقد التزموا جميعا بالكتاب والسنة واتبعوا السلف الصالح بل إن جل المتصوفة كانوا فقهاء وبرعوا في مختلف العلوم الشرعية . ولم يتصادم الطرفين إلا بعد ظهور التيار الصوفي الفلسفي الذي تزعمه الشاعر ابن خميس التلمساني الذي تصدى له فقهاء السلف وعلى رأسهم ابن هدية القرشي ،ولو أن الكثير من الباحثين يرون أن معادات ابن هدية القرشي وجماعته لابن خميس لم تكن بدوافع الدفاع عن الدين بل كانت لها خلفيات أخرى تتمثل في الانتماء القبلي فابن خميس من العرب القحطانية وابن هدية من العرب العدنانية ،ويرى البعض أن ذلك راجع للتفوق العلمي والنبوغ الفكري الذي بلغه ابن خميس الأمر الذي جعل العلماء يناصبوه العداء وإنه لا أدل على ذلك أنه عندما سأل العالم ابن دقيق العيد المصري الفقيه أبي اسحاق التنسي عن ابن خميس وذكر شعره المتميز وأشاد به أجابه التنسي: " من يكون هذا الذي حليتوه بهذا الحلي ولا أعرفه ببلاده "[55].

يضاف إلى هذا ذلك الصراع الفكري بن فقهاء السلف والمتصوفة والذي تجسدت مظاهره في رفض الفقيه ابن مرزوق الحفيد ومعارضته لفتوى قاسم العقباني حول صدق صنيع الصوفية وكرماتهم ،والذي تعداهم إلى غيرهم من الفقهاء ومن بينهم محمد ابن يوسف السنوسي فاسم العقباني وألف في ذلك كتاب سماه " نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير" ،عبد الكريم المغيلي الذي ألف كتابا عنوانه: " تنبيه الغافلين عن مكر المتلبسين بدعوى مقامات العارفين " .

ومهما كانت طبيعة الصراع بين الفقهاء والمتصوفة على عهد الدولة الزيانية فإنه لم يتجاوز حدود الصراع الفكري –إذا استثنينا محنة ابن خميس – الذي ساهم في تنشيط الحركة الثقافية على عهد الدولة ازدهاره ،بدليل أن كلا من الفقهاء والمتصوفة وقفوا صفا في جهاد الغزو النصراني لبلاد المغرب الاسلامي ،وتعبئة الناس للنفير ومقاتلة العدو الكافر.

الهوامش:

(1) عبد العزيز فيلالي ،تلمسان في العهد الزياني ،ج2 ،موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2002 ،ص 375 ،376.

(2) عبد الرحمن الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام ،ج2 ،دار مكتبة بيروت ،بيروت 1965 ،ص 86 .

(3) عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 379.

(4) أصلهما من برشك، ارتحلا إلى تونس طلبا للعلم حوالي سنة 700هـ، فأخذا العلوم الدينية على تلامذة ابن زيتون و أبي عبد الله بن شعيب الدكالي، ثم عادا إلى المغرب الأوسط للتدريس بعدة مدن منه كالجزائر و مليانة، حيث اتصلا بأحد عمال بني مرين، و يدعى منديل بن محمد الكناني، ضابط جباية بني مرين، و الذي عرف منزلتهما في العلم فقربهما منه و اتخذهما لتدريس ولده، ثم استعملهما على رأس القضاء بمليانة، وعقب مقتل السلطان أبي يعقوب المريني و انتهاء الحصار، قدما إلى تلمسان، فوفدا على السلطان أبي حمو موسى الأول الذي أكرم منزلتهما، فابتنى لهما المدرسة المعروفة باسمهما، و اختصهما بالفتوى و الاستشارة، وضمهما إلى خاصته وأعيانه، و بعد استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/ 1337م، تقرب منهما فصحباه إلى الأندلس و حضرا معه معركة طريف أواخر سنة 740هـ، ثم عادا إلى تلمسان، و بها توفي الأخ الأكبر أبو زيد عبد الرحمن سنة 743هـ/ 1343م، في حين توفي أخوه أبو موسى عيسى سنة 749هـ/ 1349م، وقد كان لابني الإمام مكانة راقية لدى ملوك بني زيان و بني مرين على حد سواء، فحظيا برئاسة العلماء في مجالسهم، و تخرج على يديهما كثير من العلماء أمثال الآبلي و المقري الجد و أبي عبد الله الشريف التلمساني، و ابن مرزوق الجد و أبو عثمان سعيد العقباني، و ابو عبد الله اليحصبي و غيرهم كثير، و كان أبو زيد قد ألف شرحا على مختصر ابن الحاجب في الفروع. ينظر: هوارية بكاي ،العلاقات السياسية و الروابط الثقافية بين المغربين الأوسط و الأقصى ما بين القرنين (7-10هـ/13-16م) ،رسالة دكتوراه ،قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2013-2014 ،ص 80 ،81.

(5) درس على علماء تلمسان أمثال ابني الإمام وأبي موسى عمران المشذالي، ثم بعدها ارتحل إلى المشرق حيث التقى فيها بمشاهير العلماء أمثال ابن القيم الجوزية و أبي حيان وغيرهما، ثم عاد إلى تلمسان و منها إلى فاس التي تولى قضاءها، و من أشهر تلامذته، لسان الدين ابن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون و ابن زمرك، و من تآليفه "القواعد" و "الحقائق و الرقائق" و "التحف و الطرف في غاية الحسن" و"عمل من طب لمن حب" و "المحاضرات" و "شرح جمل الخونجي" لم يكمله. ينظر: هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 81، 82.

(6) عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 379.

(7) أبو عبد الله الشريف التلمساني ،مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ،تحقيق عبد اللطيف ،مكتبة الخانجي ،مصر ،1962 ،ص 3.

(8) أبو العباس أحمد الونشريسي ،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب ،خرجه جماعة من الفقهاء باشراف محمد حجي ،ج2 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1981 ص 482 ،483.

(9) أخذ عن ابني الإمام و الآبلي، ثم ارتحل إلى تونس سنة 740هـ، إذ لقي بها الكثير من العلماء، ولما استولى أبو عنان المريني على تلمسان ألحقه بمجلسه العلمي بفاس، ثم عاد إلى تلمسان أيام السلطان أبي حمو موسى الثاني الذي ابتنى له مدرسة ولاه التدريس بها حتى وفاته، من آثاره كتاب القضاء و القدر، و كتاب في أصول الفقه أسماه، "مفتاح الوصول في علم الأصول" و شرح جمل الخونجي في المنطق. ينظر: هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 82.

(10) ينظر: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،نشر محمد بن أبي شنب ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1986 ،ص 167.

(11) عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 379.

(12) كان ضليعا في الفقه المالكي و أصوله، و حافظا للحديث و مفسرا و نحويا و ناظما، من تآليفه، "تفسير سورة الإخلاص"، "نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"، "أرجوزة الروضة في الحديث"، "المفاتيح المرزوقية في حل أقفال و خبايا الخزرجية"، "إسماع الصم في اثبات الشرف من قبل الأم" ،وثلاثة شروح على البردة الأكبر و الأوسط و الأصغر، و رجز في الميقات سماه "المقنع الشافي"، و ومؤلفات أخرى. ينظر: هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 84 ،85 ؛عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 383.

(13) عن تعريف التصوف لغة واصطلاحا ،وعن مراحل تطوره ينظر: صباح بعارسية ،حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي ،مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،2005-2006 ،ص ص 34-63.

(14) ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون ،المقدمة ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،ص 864 ،865.

(15) عن حياته وعلمه وكراماته ينظر: محمد بن صعد ،النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب ،تح محمد أحمد الديباجي ،ط1،دار صادر ،بيروت ،2011 ،ص ص 380-398 .

(16) بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8- 9هـ/14- 15م،رسالة دكتوراه،قسم التاريخ وعلم الآثار،جامعة تلمسان، 2010،2011،ص 241.

(17) نفس المرجع ،الصفحة نفسها .

(18) ابن مرزوق الخطيب ،المجموع ،ميكروفيلم ،الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 20 ،ورقة 14 وورقة 17.

(19) ولد بتلمسان سنة 629هـ و نشأ بها، فقيه و محدث، أخذ العلم عن أبي زكرياء بن عصفور العبدري و أبي اسحاق التنسي، و ابي عبد الله الكفيف و أبي عبد الله المالقي، و الفقيه أبي زيد اليزناسي، و هم من أبناء تلمسان، توفي في أوئل رجب من سنة 681هـ، دفنه يغمراسن بن زيان في دار الراحة من الجامع الأعظم، و كان يغمراسن قد أوصى بدفنه بجواره تبركا به ،هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 78 ،79.

(20) كان يقيم حلقات أو جلسات للذكر يجمع فيها صلاح مدينة تلمسان وعلمائه الظاهرين. عن هذه الجلسات وما كان يحدث فيها ينظر: ابن مرزوق الخطيب ،المجموع ،ورقة 5 وما بعدها .

(21) عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 387 ،388 .

(22) عن نسب أسرة المرازقة ،وخدمتهم لضريح الولي الصالح سيدي أبي مدين شعب ،وما نالوه من حظوة ينظر: نصر الدين بن داود ،بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7 هـ/ 13 م إلى القرن 10 هـ/ 16 م ،رسالة دكتوراه ،قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2009 / 2010 ،ص ص 87-110 وص ص 267-270.

(23) عن حياته ومشائخه ،ينظر:المجموع ،الورقة 25 وما بعدها .

(24) عن حياة ابن خميس ،نشأته وأصله ،ينظر: هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص ص 99-100.

(25) عن حياة عبد الرحمن الثعالبي ،ينظر: عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمن الثعالبي و التصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، هوارية بكاي، المرجع السابق ،ص 86، 87 .

(26) عن حياته ينظر: جمال الدين بوكلي حسن، الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص55 و ما يليها، هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 88.

(27) ابن فرحون ،المصدر السابق ،ج2 ،ص 245 .

(28) أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقري (الجد) ،الحقائق و الرقائق ،حققه و نشره عبد القادر زمامة ،مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية المغربية ،العدد الثامن ،السنة التاسعة 1965 ،ص 95 .

(29) ذكره ابن فرحون في الديباح ،ج2 ،ص 246 .

(30) ذكره ابن الخطيب في الاحاطة ،ج2 ،ص 125 ،و ابن فرحون في الديباج ،ج2 ،ص 246 .

(31) ذكره ابن الخطيب في الاحاطة ،ج2 ،ص 125.

(32) بشير ضيف ،المرجع السابق ،ص 221.

(33) نفس المرجع ،الصفحة نفسها.

(34) عادل نويهض ،المرجع السابق ،ص 365 .

(35) محمد بوشقيف ،المرجع السابق ،ص 243 .

(36) ابن مرزوق الخطيب ،المسند ،مصدر سابق ،ص 221 .

(37) ابن مرزوق الخطيب ،المناقب المرزوقية ، مصدر سابق ،ص 87 .

(38) التنسي ،المصدر السابق ،ص 211 .

(39) توجد نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2780 ،و قام خالد بوشمة بتحقيق هذا الكتاب ،و نشرته له جسور للنشر و التوزيع بالجزائر سنة 2009 .

(40) بشير ضيف ،فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث ،راجعه عثمان بدري ،منشورات شالة ،الجزائر 2007 ،ص228 .

(41) نفس المرجع ،الصفحة نفسها .

(42) محمد بوشقيف ،المرجع السابق ،ص 245 .

(43) توجد هذه الرسالة كاملة في كتاب " الامام ابن أحمد السنوسي و علم التوحيد " لجمال الدين بوكلي حسن ،الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1985 ،و توجد نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 946 .

(44) محمد بوشقيف ،المرجع السابق ،ص 246 .

(45) نفس المرجع ،ص 247 .

(46 عن موضوع التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر الهجري ،السادس عشر الميلادي ينظر: صباح بعارسية ،المرجع السابق ،ص 34 وما يليها.

(47 عبد الرزاق قسوم ،المرجع السابق ،ص 55.

(48 من ولد عقبة بن نافع الفهري، تلمساني المنشأ والدار، تولى خطة القضاء بتلمسان مع كتابة السر للسلطان أبي تاشفين الأول، و كان من أئمة اللسان والأدب وذو بصر بالوثائق وكتب الرسائل عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان، اشتغل بعلوم اللغة و التاريخ، و من آثاره: "تاريخ تلمسان" ،هذا المؤلف الذي قيل أنه ضاع أثناء الحصار الطويل،من تلامذته ابن هدية، المقري الكبير، و أبو البقاء البلوي.

(49 عبد العزيز الفيلالي ،المرجع السابق ،ص 407 ،408 ؛المهدي البوعبدلي ،أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني ،عدد 49-50 سبتمبر-أكتوبر 1977 ،ص 8 وما بعدها.

(50 عبد العزيز الفيلالي ،المرجع السابق ،ص 410 .

(51 تمت محاكمته بفاس بحضور بن هدية الذي كانت له اليد الطولى في تدبير هذه المحاكمة، غير أن ابن خميس دافع عن موقفه و أفحم خصومه بحجج قاطعة، و لم يبق في المناظرة إلا خصمه صاحب الكمين بحكم مركزه السياسي، وهو الشريف أبو البركات الذي كان يعتبر ابن خميس زنديقا وجب هدر دمه، لكن ابن خميس استطاع الفرار من تنفيذ حكم الإعدام عليه إلى تلمسان، و منها عبر إلى الأندلس سنة 703هـ، استقر بعدها بغرناطة في كنف القائد أبي الحسن بن كماشة بن خدام الوزير أبي عبد الله بن الحكيم الأديب الكبير[1] الذي نظم في مدحه قصائد كثيرة خلدت ذكراه مدى الدهر.

فكان لابن خميس شعر كثير جمعه القاضي أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي في ديوان سواه "الدر النفيس في شعر ابن خميس" و يبدو أن هذا الديوان ضاع، و قد نشر عبد الوهاب بن منصور ما أمكن جمعه من شعره من خلال كتب الأدب و الرحلات و التراجم في كتاب سماه "المنتخب النفيس من شعر ابن خميس" بتلمسان سنة 1365هـ. ينظر: هوارية بكاي ،المرجع السابق ،ص 98 ،99 ؛عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص ص 407-410.

(52 هو قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني ولد بتلمسان سنة 768 هـ / 1360 م ،بلغ درجة عالية من العلم والتحصيل والفهم العميق ،حتى بلغ درجة الاجتهاد وله اختيارات خارجة عن المذهب قال عنه تلميذه يحيى المازوني: " شيخ الاسلام علم الأعلام عارف القاعد والمباني أبو الفضل العقباني." ،وقال عنه

* **بجاية**: و ذكرها البكري بأنّها :":" مدينة أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس."أبو عبيد البكري،المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،وهو جزء من المسالك والممالك،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،مصر،ص82.و وصفها الإدريسي في القرن السادس الهجري بقوله:":" ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حمّاد والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة. وأهلها مياسير تجار. وبها من الصناعات والصُّناع ما ليس بكثير من البلاد." الإدريسي،المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،تحقيق: محمد حاج صادق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة1983،ص116.

الحافظ التنسي: " ... شيخنا الامام العلامة وحيد دهره فريد عصره. " ،وقال عنه القلصادي: " هو شيخنا وبركتنا الامام الفقيه المعمر ملحق الأصاغر بالأكابر العديم النظر بالأقران المرتقي درجة الاجتهاد بالدليل والبرهان سيدي أبو الفضل قاسم العقباني." عنه ينظر: نصر الدين بن داود ،المرجع السابق ،ص ص 79-81 .

(53 عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 411 ؛نصر الدين بن داود ،المرجع السابق ،ص 247.

(54 عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 411 ؛نصر الدين بن داود ،المرجع السابق ،ص 247 .

(55 عبد العزيز فيلالي ،المرجع السابق ،ص 409 .